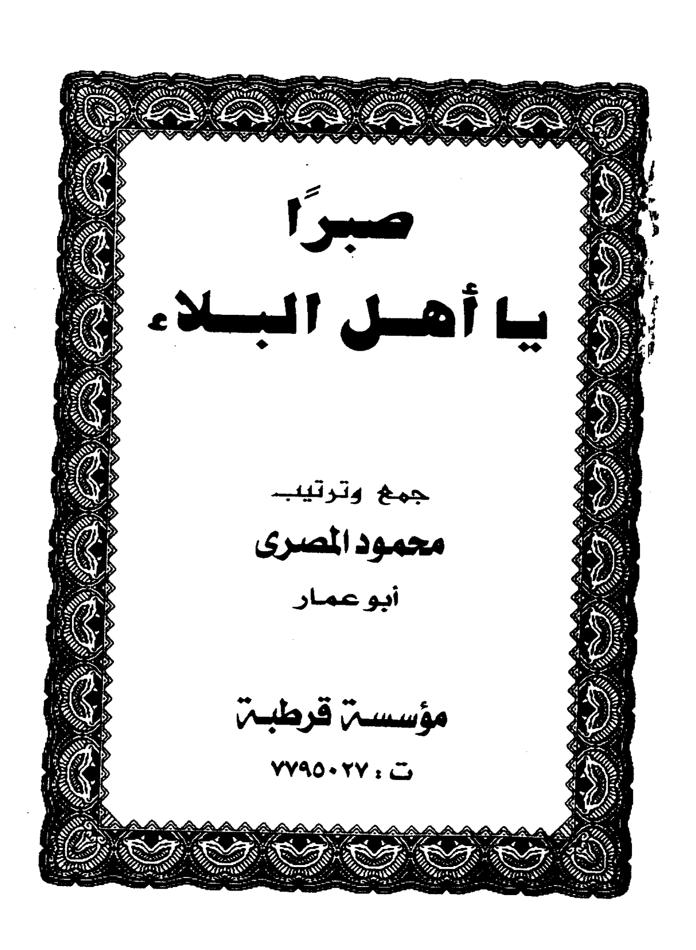
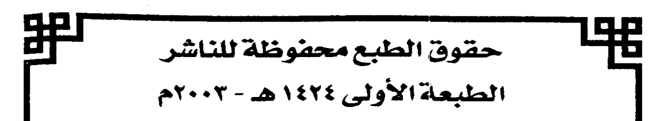


صبرًا يا أهل البلاء

جمع وترتيب

محمود المصرى
أبو عمار

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧



الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع	٢٠٠٣/١٨٥٤٩

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٠١٠١٢٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت: ٠١٢٢٣٨١١٥٣٦

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٥٤٦٧٨٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.. أما بعد.

فإن الله تعالى خلق الدنيا وجعلها دار ممرٍّ وليست بدار مقر وحفَّها بالمحن والابتلاءات، وغمرها بالمصائب والفتن فقال تعالى: ﴿الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

فالدنيا هى دار التكليف والعمل، وليست بدار نعيم... فغفل كثيرٌ من المسلمين عن حقيقة الدنيا، بل وعن السر فى وجوده فى هذه الدنيا.

فإذا أقبلت المصائب والابتلاءات (والدنيا لا تخلو منها) ترى الناس يفزعون، بل ويسخطون على قدر الله، وذلك لأنهم لم يتحصنوا بالإيمان عامة، وبالإيمان بالقضاء والقدر (خاصة) الذى هو أصل من أصول الإيمان.

ومن تأمل فى أحوال الخلائق علم علم اليقين أنه ما من

مخلوق إلا وكان له نصيب من آلام الدنيا وأحزانها. . . كما قال ابن مسعود رضى الله عنه: لكل فرحةٍ ترحة، وما مُلئ بيت فرحًا إلا مُلئ ترحًا.

والمؤمن هو الذى يعلم أنه مسافر إلى الله، وأن كل ما هو من حطام الدنيا فسوف يتركه لا محالة. . إما بالفقر أو بالموت، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ (الأنعام: ٩٤).

بل إن المؤمن يعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأنه ما يزرعه هنا فسوف يحصده هناك، ولذا قال تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ.**﴾ (البقرة: ١٩٧).

حين يصل المؤمن إلى تلك الحقيقة الكبرى ويوقن أنه موقوف بين يدى الله ـ جل وعلا ـ فى يوم مقداره خمسون ألف سنة، فإن الدنيا لو سجدت بين يديه لركضها برجليه طامعًا فى ساعة واحدة يناجى فيها ربه لعل الله أن يكتب له بها النجاة من تلك النار التى أُوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى احمرت. وألف عام حتى اسودت، فهى الآن سوداء قاتمة. . . فيعلم المؤمن أن كل نعيم دون الجنة سراب، وكل

عذاب دون النار عافية.

هنا تهون المصائب كلها على المؤمن... بل إنه عندما يقف على الخير الذى ادخره الله لأهل الصبر على البلاء الراضين بقضائه – جل وعلا – فإنه عندها يشتهى، بل ويتمنى البلاء لينال الأجر العظيم من الوهاب الكريم.

قال ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت فى الدنيا بالمقاريض» (صحيح الجامع: ٨١٧٧).

فإلى إخوانى وأخواتى: إن هذا الكتاب دعوة للإيمان بالقضاء والقدر، ودعوة لكى نرضى بقضاء الله وقدره.

فما أجمل أن نرضى بقضاء الله تعالى لندخل جنة الرضا فى الدنيا قبل أن يُنعم الله علينا بالنعيم المقيم فى جنته ودار كرامته التى أعدها الله لعباده الصالحين.

فهيا بنا نطوف فى بساتين أهل الصبر والرضا من خلال هذا الكتيب سائلين الله – جل وعلا – أن يجعله تسلية لنا عما أصابنا فى تلك الحياة الدنيا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

سنة لا تتبدل

إن البلاء سُنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير – يقول الله عز وجل: ﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: (١: ٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ١٥٦ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ : ١٥٧)

وقال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير – وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن – إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له» (أخرجه مسلم).

اخى الحبيب... اختى الفاضلة: إن الحياة لا تخلو من الشدائد وإن الأمل والأمن، والرضا والحب، والسكينة النفسية، ثمارٌ شهية لغراس العقيدة فى نفس المؤمن، وذخائر لا تنفد لإمداده فى معركة الحياة، وإنها لمعركة طويلة الأمد، كثيرة التكاليف محفوفة بالأخطار والمشقات.

ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البشر فيها، تجعلان من

المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، فكم يخفق له عمل أو يخيب له أمل، أو يموت له حبيب، أو يمرض له بدن، أو يفقد منه مال.. أو.. أو.. إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة.. حتى قال الشاعر يصف الدنيا:

جُبلت على كَدَرٍ وأنت تريدها
صفواً من الآلام والأكدار!
ومُكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار

وإذا كانت هذه سُنة الله في الحياة عامة، وفي الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضًا لنكبات الدنيا وويلاتها، إنهم يدعون إلى الله فيحاربهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر.. وبهذا يحيون في دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، سُنة الله الذى خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، ومحمدًا وأبا جهل ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ (الانعام: ١١٢). ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (الفرقان: ٣١).

هذا شأن الأنبياء، وشأن ورثتهم، والسائرين على دربهم،

والداعين بدعوتهم، مع الطغاة الصادّين عن سبيل الله ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج: ٨).

وقد أثبت الاستقراء والمشاهدة أن أشد الناس جزعًا، وأسرعهم انهيارًا أمام شدائد الحياة هم الملحدون والمرتابون وضعاف الإيمان، وقد وصف القرآن هذا النموذج من الناس فقال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ (هود: ٩). ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (فصلت: ٤٩). ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء: ٨٣). ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١).

إنهم لا يؤمنون بقدر فيرضوا به، ولا بإله فيطمئنوا إلى حكمته فى خلقه، ولا بأنبياء فيجدوا فى حياتهم القاسية قدوة وعبرة، ولا بحياة أخرى فتهبّ عليهم نسماتها منعشة للنفس، وطاردة للكآبة، باعثة للأمل.

إنهم كسفينة فقدت الدفة والشراع، وكل عوامل الثبات أمام الأمواج والعواصف، فهى لأدنى حركة من الريح يشتد اهتزازها وتمايلها، ويحيط بها الموج من كل مكان، وسرعان ما تغوص إلى الأعماق!

ولا غرو أن نجد الانتحار أكثر ما يكون فى البيئات التى

ضعف دينها أو فقدته، فإن لم يكن الانتحار فهو الألم القاتل، والجزع الهالع، والكآبة الحزينة، والحزن الكئيب، والحياة التى خلت من معنى الحياة. اهـ.

ليس مَن مات فاستراح بميت
إنما الميتُ ميت الأحياء
إنما الميتُ مَن يعيش كئيبًا
كاسفًا باله قليل الرجاء

أما المؤمن الواثق فى موعود ربه فيتسلى فى مصيبته بعلمه أن الله سوف يجبر له كل مُصاب فى الجنة.

(الإيمان والحياة/ د. يوسف القرضاوى (ص: ١٨٤).

صبرًا يا أهل البلاء

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة: إننا على يقين من أن الدنيا لا تخلو أبدًا من الآلام والأحزان، وأنها دار ابتلاء وامتحان، ومن أجل ذلك فنحن نحتاج إلى صبرٍ جميل ليس فيه ضجر ولا تسخط على قضاء الله (جل وعلا) فإن التحلى بالصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة الصدر.

فمن الناس من ابتُلى بضيق الرزق فضاق صدره لذلك مع أنه يعلم يقينًا أن الدنيا بكل ما فيها من كنوزٍ وثروات لا تساوى جناح بعوضة عند رب الأرض والسماوات.

ومن الناس من ابتُلى فى صحته وعافيته فداهمته الأمراض حتى أصبح طريح الفراش. . . ولم يعلم أن الراحة والنعيم لن يكونا إلا فى جنة الرب الرحيم (جل وعلا). . فهناك تجد الصحة التى ليس معها مرض وتجد الشباب الذى لا يتسرب إليه العجز والشيخوخة وتجد النعيم الذى لا يخالطه بؤسٌ أبدًا.

عن أبى سعيد وأبى هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنةَ يُنادى مُناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تَسقمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدًا» (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليُعطَى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والشهوة والجماع حاجةُ أحدهم عرقٌ يفيض من جلده، فإذا بطنُه قد ضمر» (صحيح الجامع: ١٦٢٧).

ومن الناس من ابتُلى بغير ذلك من أنواع البلاء. . . ولذلك فنحن نحتاج جميعًا أن تترسخ فى نفوسنا عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

أخى الحبيب: اصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر صبر واثق بالفرج، عالم بحسن المصير، طالب للأجر، راغب فى تكفير السيئات، اصبر مهما ادلهمّت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن

مع العسر يسرًا.

إن هذه العقيدة إذا رسخت فى نفسك وقرَّت فى ضميرك صارت البلية عطية، والمحنة منحة، وكل الوقائع جوائز وأوسمة «ومن يرد الله به خيرًا يصب منه» فلا يصيبك قلق من مرض أو موت ابن، أو خسارة مالية، أو احتراق بيت، فإن البارى قدَّر والقضاء قد حلَّ، والاختيار هكذا، والخيرة لله، والأجر حصل، والذنب كُفِّر (لا تحزن: عائض القرنى، ص: ٢٥).

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ
أبشر بخـيرٍ فـإن الفـارج اللهُ

اليـأس يقطـع أحيانـًا بصاحبه
لا تيأسـن فـإن الكافـىَ اللـهُ

إذا بُليت فثق بالله وارض به
فإن الذى يكشـف البـلوى هو اللهُ

الله يُحـدث بعد العسـر ميسـرةً
لا تجزعـن فـإن الصانـع اللهُ

والله مَا لـكَ غير الله مِن أحدِ
فحسبُك اللـه فـى كـلٍ لك اللهُ

عبق النسرين من ثواب المرضى الصابرين

قال ﷺ: «قال تعالى: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادى مُؤمنًا فحمدنى وصبر على ما بَليتُه؛ فإنهُ يقومُ من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمهُ من الخطايا، ويقولُ الربُّ عز وجل للحفظة؛ إنى أنا قيَّدتُ عبدى هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبلَ ذلك من الأجر، وهو صحيح» (صحيح الجامع: ٤٣٠٠).

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: إذا ابتليتُ عبدى المؤمن، فلم يشكُنى إلى عُوَّاده أطلقته من إسارى، ثم أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه ثم يستأنفُ العمل» (صحيح الجامع: ٤٣٠١).

فيا له من ربٍّ رحيم وسعت رحمته كل شيء (سبحانه وتعالى).

ما أثقلهن فى الميزان (الصبر على موت الولد)

قال ﷺ: «ما منْ مسلمين يموتُ لهما ثلاثةُ أولاد، لم يبلغوا الحنثَ، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنةَ، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخلَ أبوانا: فيقالُ: ادخلوا الجنةَ أنتم وأبواكم» (صحيح الجامع: ٥٧٨٠).

وقال ﷺ: «ما منكنَّ امرأةٌ تقدِّمُ بين يديها ثلاثة من ولدها، إلا كانوا لها حجابًا من النار، قالت امرأةٌ: واثنين؟

قال: واثنين» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «بَخٍ بَخٍ لخمسٍ ما أثقلهنَّ فى الميزان: لا إله إلا الله، وسُبحان الله، والحمدُ لله، والله أكبرُ، والولدُ الصالحُ، يُتوفَّى للمرءِ المسلمِ فيحتسبه» (صحيح الجامع: ٢٨١٧).

وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده إن السقط ليجرُّ أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته» (صحيح الجامع: ٧٠٦٤).

فيا من فقدت ثمرة فؤادك وقُرة عينك: اصبر واحتسب لتنال الأجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة.

إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث

روى ابن أبى حاتم بإسناده فى تفسيره عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابنٌ يقال له: يحيى، فلما نزل فى قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه؛ فقال والده: وما يمنعنى أن أحتسبه، وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!

وعن محمد بن خلف قال: كان لإبراهيم الحربى ابنٌ كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقَّنه من الفقه جانبًا كبيرًا؛ قال: فمات. فجئت أعزيه فقال: كنت أشتهى موتَ ابنى هذا. قال: قلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبى قد أنجب، ولقَّنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قِلالُ فيها

ماءٌ، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم يومًا حارًا شديدًا حرُّه، قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلىّ. وقال: ليس أنت أبى، قلت: فأى شىء أنتم؟ قال: فقال لى: نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء؛ قال: فلهذا تمنيت موته.

والمقصود أن هذا المقام مقام عظيم شريف لمن يطلب المصيبة ويفرح بها نظرًا إلى ثوابها.

يؤيد ذلك ما ثبت فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (أخرجه مسلم).

وفى حديث أنس مرفوعًا: «سبعٌ يجرى للعبد أجرهن، وهو فى قبره بعد موته ـ فذكر منها ـ أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته» (صحيح الجامع: ٣٦٠٢).

بيت الحمد فى جنة الرحمن

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا ماتَ ولدُ العبدِ؛ قال الله تعالى لملائكته:

قَبَضتُم ولَدَ عبدى؟

فيقولونَ: نعم. فيقولُ: قبضتُم ثمرةَ فؤادهِ؟

فيقولون: نعم: فيقول: فماذا قال عبدى؟

فيقولون: حَمِدَكَ واسترجَعَ.

فيقولُ الله تعالى: ابنُوا لعبدى بيتًا فى الجنَّة وسَمُّوهُ بيتَ الحمد» (صحيح الجامع: ٧٩٥).

همسة فى أذن كل محروم من نعمة الأولاد

أيها الأخ الكريم.. أيتها الأخت الفاضلة:

إن الأولاد هبة من الله تعالى... كما قال تعالى: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ (الشورى: ٤٩: ٥٠).

وهم أيضًا نعمة من الله (عز وجل): ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾ (الكهف: ٤٦).

وقد يكون الأولاد نقمة فى نفس الوقت.. كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾

(التغابن: ١٤: ١٥)

وقال ﷺ: «إن الولد مَبخلةٌ مَجبنةٌ مَجهلةٌ مَحزنةٌ» (صحيح الجامع: ٧١٦٠).

وكم من أُناسٍ قد رزقهم الله بالأولاد فلما ذاقوا مرارة العقوق تمنّوا أن لو كان الله حرمهم من نعمة الأولاد.

ولذلك فإننا يجب أن نرضى بقضاء الله تعالى؛ لأنه سبحانه هو الذى يعلم ما فيه مصلحة العبد ومنفعته.

الطريق إلى الولد الصالح

ويا من حُرمت من نعمة الولد: كن راضيًا عن الله (جل وعلا) وعن قضائه فإن الله أرحم بك من رحم الأم بطفلها الرضيع.

ولا تقل: لماذا حرمنى الله نعمة الولد، بل تذكَّر كم أسبغ الله عليك من النعم.

قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ (إبراهيم: ٣٤).

– واعلم أن العبد يُبتلى على قدر دينه ولو لم يكن لك قدرٌ عند الله ما سلط عليك هذا البلاء أبدًا.

– ومع ذلك فلا مانع من أن تأخذ بالأسباب، ولكن بشرط أن تعلم أن الأسباب وحدها لا تنفع ولا تضر إلا بأمر مسبب الأسباب (جل وعلا)... فاحرص على كثرة الدعاء ولا تنسى

دعاء زكريا (عليه السلام) حينما قال: ﴿ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٩).

– واعلم أن التقوى من أعظم الأسباب التى تجلب لك الذرية الصالحة – بإذن الله –.

لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ (الطلاق: ٢، ٣) والأولاد رزق من عند الله جل وعلا... بل إن التقوى تكون سببًا لحفظ الأولاد بعد مجيئهم إلى تلك الحياة الدنيا.. قال تعالى ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ (النساء: ٩).... والنتيجة العملية نأخذها من سورة الكهف ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٨٢)

بل عليك أيضًا أن تُكثر من الاستغفار فإن الاستغفار من أعظم الأسباب التى تعطى الرجل القدرة على إتيان زوجته

«وهذا استنباط استنبطه الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله» من خلال قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢) فالشاهد هو قوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ فإن الله يعطى الرجل قوة فوق قوته لكثرة استغفاره.... وكذلك فالاستغفار سبب فى جميع أنواع الرزق بعمومها وشمولها... قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⦗١٠⦘ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⦗١١⦘ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ⦗١٢⦘ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

(نوح: ١٠ ـ ١٣)

فجاء التصريح فى تلك الآيات بأن الاستغفار سبب فى الرزق بالأولاد فى قوله: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾....

الأنبياء (صلوات ربى وسلامه عليهم) ورحلة البلاء

وها هى نبذة يسيرة عن رحلة البلاء التى تعرض لها أنبياء الله (صلوات ربى وسلامه عليهم) لنعرف أن الطريق إلى الله تعالى ليس مفروشًا بالورود والرياحين، وإنما هو طريق مليء بالأشواك.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «يا مُخنَّثَ العزم أين

أنت؟ والطريقُ طريقٌ تعبَ فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمى فى النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث فى السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ (الفوائد، ص: ٦٧).

أيها الأخ الحبيب: أما علمت كيف صبر نوحٌ (عليه السلام) على قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فقابلوا دعوته بالسخرية والاستهزاء... أما علمت كيف وقف هود (عليه السلام) أمام أمة من أعتى الأمم وصبر على أذاهم... أما علمت كيف أُلقى خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) فى النار وكيف جعل الله (عز وجل) النار عليه بردًا وسلامًا.. بل واشتد البلاء على إبراهيم حينما رأى فى المنام أنه يذبح ولده إسماعيل (عليهما السلام) فاستسلما لأمر الله (جل وعلا) فجاءه الفرج من عند الله ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ (الصافات: ١٠٤: ١٠٧)...

أما علمت كيف ابتُلى يعقوب بفقد يوسف (عليهما السلام) وكيف أن يوسف أُلقى فى الجُب وبيع بثمنٍ بخسٍ ولبث فى

السجن بضع سنين... وكيف أن زكريا (عليه السلام) نُشر بالمنشار وذُبح يحيى (عليه السلام).. وصبر أيوب (عليه السلام) على البلاء سنوات طويلة وحُبس يونس (عليه السلام) فى بطن الحوت... فهؤلاء هم صفوة خلق الله، ومع ذلك اشتد عليهم البلاء ليكون لنا فيهم الأسوة والقدوة فطريق الأنبياء محفوف بالأشواك، لكن عاقبته محمودة لأن نهايته فى جنة الرحمن (جل وعلا).

النبى ﷺ كان أشد الناس بلاءً

بل ها هو الحبيب المصطفى ﷺ يتعرض للابتلاء والإيذاء الشديد من كفار قريش، وعلى الرغم من ذلك يثبت بإيمانه وعقيدته التى تناطح كوكب الجوزاء... فينصره الله ويُعلى قدره ويرفع ذِكره ويمكِّن له فى الأرض ولأصحابه ﷺ.

وها هى بعض الصور التى تُلقى الضوء على إيذاء كفار قريشٍ للحبيب ﷺ.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ: أن النبى ﷺ كان يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسَلَى جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبى ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أُغنى شيئًا لو كانت لى منعة.

قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم. قال: وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ثم سَمَّى: «اللهم عليك بأبى جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط» وعد السابع فلم نحفظه. قال: فوالذى نفسى بيده لقد رأيت الذين عَدّ رسول الله ﷺ صرعى فى القليب، قليب بدر» (متفق عليه).

وعن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون بالنبى ﷺ. قال: بينما النبى ﷺ يصلى فى حِجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى ﷺ قال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ (غافر: ٢٨) (أخرجه البخارى).

ولما رأت قريش أن محمدًا ﷺ لا يصرفه عن دعوته هذا ولا ذاك، فكروا مرة أخرى واختاروا لقمع هذه الدعوة أساليب كثيرة منها:

السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك، وقصدوا بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فرموا

النبى ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة فكانوا ينادونه بالمجنون: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦). ويصفونه بالسحر والكذب: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: ٤)

خروج المصطفى ﷺ إلى الطائف

قال ابن إسحق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النُّصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده.

عن عروة أن عائشة ﵂ زوج النبى ﷺ حدثته أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم علىَّ ثم

قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت: إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبى ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» (متفق عليه).

وفى غزوة أحد

وفى غزوة أُحد لما عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ وتركوا الجبل وانقضَّ المشركون على المسلمين وقتلوا منهم عددًا كبيرًا وأرادوا بعد ذلك قتل الحبيب المصطفى ﷺ.

وفى هذا اليوم جُرح وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، وكُسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه بأبى هو وأمى. عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أُحد، وشجَّ فى رأسه، فجعل يسلُت الدم عنه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (آل عمران: ١٢٨) (أخرجه مسلم).

حادثة الإفك

وها هو أشد بلاءٍ تعرض له الحبيب ﷺ طوال حياته.

هل تتصور أيها الأخ الحبيب.. وأيتها الأخت الفاضلة أن الحبيبَ المصطفى ﷺ يُتهم فى عِرضه؟!!!.

الحبيب ﷺ الذى فاضت طهارته على الكون كله يُتهم فى

عِرضه!!!

الحبيب الذى يحافظ على حُرمات المسلمين يُتهم فى حُرمته!!!

ومن هى التى اتهموها؟ إنها عائشة ﵂ تلكم الزهرة الطاهرة الصافية التى نبتت فى حقل الإسلام وسُقيت بماء الوحى.

يُتهم الحبيب ﷺ فى زوجته وحبيبته عائشة ﵂ وعلى الرغم من ذلك يصبر ويحتسب إلى أن أنزل الله (عز وجل) فى شأنها قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة ليشهد ببراءتها من فوق سبع سماوات.

فيا ليتنا نقرأ سيرة الأنبياء وعلى رأسهم الحبيب ﷺ لنعرف كيف ابتلاهم الحق ــ جل وعلا ــ وكيف أنهم ثبتوا ورضوا بقضاء الله ليكون ذلك تسلية لنا فى مُصابنا، ولنعرف أن الطريق إلى الله (جل وعلا) يحتاج إلى صبر؛ لأن عاقبته محمودة، ولأن نهايته فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أصحاب الحبيب ﷺ ورحلة البلاء

وها هم أصحاب الرسول ﷺ الذين هم صفوة خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين... ها هم يتعرضون لأشد أنواع البلاء،

ومع ذلك كانت قلوبهم راضية عن الله (جل وعلا) فهم الذين تعلموا الصبر والرضا من سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ .

موقف الصدّيق عند وفاة النبى ﷺ

وتأمل معى كيف ثبت أبو بكر الصديق فى هذا اليوم العصيب، وهو يوم موت النبى ﷺ ففى يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ خرجت أطهر روح من أطهر جسد على وجه الأرض فقد مات النبى ﷺ وتسرب الخبر الفادح وأظلمت على المدينة أرجاؤها وآفاقها... قال أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء، وما نفضنا عن النبى ﷺ الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا».... ولما مات ﷺ قالت فاطمة: يا أبتاه أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه.. يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. ووقف عمر بن الخطاب وقد أخرجه الخبر عن وعيه يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى، وإن رسول الله ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات.

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل

المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبره فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله وبكى ثم قال: بأبى أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة التى كُتبت عليك فقد مُتها، ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد مَنْ كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَنْ كان منكم يعبد الله فإن الله حى لا يموت ــ قال الله: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾

(آل عمران: ١٤٤)

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها. . . . قال ابن المسيب: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقرت حتى ما تقلنى رجلاى وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبى ﷺ قد مات (أخرجه البخارى).

بلال بن أبى رباح (رضي الله عنه)

وها هى صفحة مضيئة من ثبات هذا الصحابى الجليل

وصبره على البلاء الذى تعرض له من مشركى قريش.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمَّار، وأمُّه سُمية، وصهيب، وبلال، والمقداد رضي الله عنهم، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه، وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم فى الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شِعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ.

وكان بلالٌ، مولى أبى بكر رضي الله عنه لبعض بنى جُمح، وكان صادقَ الإسلام، طاهر القلب، وكان أُمية بن خلف يُخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعُزى؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء: أحدٌ أحدٌ.

وهكذا يستعلى بلال رضي الله عنه بإيمانه بالله جل وعلا، فكان يستعذب العذاب فى سبيل الله مع أن الله قد رخَّص للمؤمنين وقتها أن ينطقوا بكلمة الكفر طالما أن قلبهم مطمئنٌ بالإيمان لكى ينجو كل واحد منهم من بطش هؤلاء المجرمين، ولكن بلال كره أن يُشمتَ أعداء الإسلام بالإسلام وأهله وأراد أن يعرف

الكون كله أن المؤمن لو اجتمعت عليه الدنيا بأسرها فلن تستطيع أن تُحرك ذرة واحدة من جبال الإيمان الراسخة فى قلبه... وذلك لأن الذى ثبَّت تلك الجبال هو الخالق جل جلاله.

وتأتى البشرى التى لا توازيها الدنيا بمتاعها الزائل... وإذا بالحبيب ﷺ يقول: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علىّ وعمَّار وبلال» (رواه الترمذى بسندٍ صحيح).

بل تُصبح تلك البُشرى حقيقة يسمعها النبى ﷺ بأذنيه.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه «أن النبى ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: يا بلالُ حدِّثنى بأرجى عمل عملتَهُ فى الإسلام فإنى سمعتُ دَفَّ نعليك بين يدىَّ فى الجنة. قال: ما عملت عملاً أرجى عندى من أني لم أتطهَّر طُهورًا فى ساعة من ليلٍ أو نهارٍ إلا صليتُ بذلك الطُّهور ما كُتبَ لى أن أُصلى» (أخرجه البخارى)

صبرًا آل ياسر

لما أسلم عمار بن ياسر وأمه سمية رضي الله عنهم وانطلقت الأسرة الكريمة المباركة فى طريقها إلى الله (جل وعلا).

وما هى إلا ساعات معدودة حتى طار خبر إسلامهم إلى «بنى مخزوم» فاستشاطوا غضبًا.

وصبّوا على آل ياسرٍ أشد العذاب.

فكانوا إذا حميت الظهيرة يأخذونهم إلى بطحاء مكة ويُلبسونهم دُروع الحديد، ويمنعون عنهم الماء ويُصهرونهم فى الشمس المحرقة ويصبون عليهم من جحيم العذاب ألوانًا؛ حتى إذا بلغ منهم الجهد مبلغًا أعادوا معهم الكَرّة فى اليوم الذى يليه.

وبينما هم على تلك الحالة من العذاب والتنكيل، وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يمر عليهم ويقول لهم: «أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة» (رواه ابن سعد بسندٍ صحيح).

وهنا بدأت نفوسهم تشعر بالراحة والطمأنينة.. وبدلاً من المعاناة التى كانوا يجدونها من أثر التعذيب أصبحوا يستعذبون العذاب فى سبيل الله ويحلمون بالجنة ليلاً ونهارًا.

أول شهيدة فى الإسلام

وبدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشّرهم النبى ﷺ بالجنة، وهنا تقوم (أم عمار) سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطورًا من النور على جبين التاريخ ولتكون أول شهيدة فى الإسلام. وذلك عندما تعرّض لها الهالك أبو جهل ـ عليه من الله ما يستحقه ـ فطعنها فى موطن عفتها فقتلها.

واستشهد ياسر (والد عمار) رضي الله عنه تحت وطأة التعذيب.

فإن عادوا فعُد

فلما لم يبق سوى (عمار) رضي الله عنه اشتد الكفار عليه وأذاقوه

من العذاب ألوانًا.

عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمارًا، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ. وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبى ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شرٌّ يا رسول الله. والله ما تُركتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «فكيف تجدُ قلبك»؟ قال: مطمئنٌ بالإيمان. قال: «فإن عادوا فَعُدْ» (رواه الحاكم بسندٍ صحيح).

وعن قتادة ﴿إلا مَنْ أُكْرِهَ وقلبه مطمئنٌ بالإيمان﴾ نزلت فى عمار.

الهجرة المباركة

وكتب الله النجاة لعمار رضي الله عنه ولأمثاله من المستضعفين عندما أذن النبى ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة.

وهاجر عمار رضي الله عنه فرارًا بدينه.

فكانت البُشرى العظيمة فى انتظاره فلقد أخبره الحبيب ﷺ بأن الجنة قد اشتاقت إليه.. قال ﷺ: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علىّ وعمّار وبلال» (رواه الترمذى بسندٍ صحيح).

سعد بن أبى وقاص (رضي الله عنه)

قضاء الله عندى أحسن من بصرى

لما قدم سعد بن أبى وقاص مكة، وقد كان كُفَّ بصره، جاءه

الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا، وكان مجاب الدعوة، قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام فتعرفت عليه فعرفنى. وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت: نعم. فذكر قصة، قال فى آخرها: فقلت له: يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردّ عليك بصرك؟! فتبسم وقال: يا بُنَى قضاءُ الله سبحانه عندى أحسن من بصرى.

خباب بن الأرت (رضي الله عنه)

لقد كان خباب رضي الله عنه مولى (لأم أنمار الخُزاعية) ولما سمع بأمر الحبيب ﷺ ذهب إليه وأعلن إسلامه لله (جل وعلا) فكان سادس ستة أسلموا فى هذا الكون لله.

وما إن وصل خبر إسلامه إلى «أم أنمار» حتى مضت إليه مع أخيها «سباع بن عبد العُزى» ومعهما مجموعة من فتيان «خُزاعة» ومضوا إلى خبّاب وبعد أن تيقنوا من خبر إسلامه قاموا جميعًا يضربونه ويعذبونه أشد أنواع التعذيب.

وكان المشركون يذيقونه أنواعًا من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذبًا، ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجرًا، حتى لا يستطيع أن يقوم.

وكانوا إذا اشتدت الهاجرة وكادت الشمس أن تُذيب الصخور أخرجوه إلى بطحاء مكة، ونزعوا عنه ثيابه وألبسوه

دروع الحديد ومنعوا عنه الماء حتى إذا بلغ منه الجهد كل مبلغ طلبوا منه أن يكفر بدين محمد ﷺ وأن يقول خيرًا فى اللات والعُزى.. فيأبى خبَّاب بكل عزةٍ وثباتٍ أن يفعل ما يريدون.

لقد كان حظ «خبّاب» من العذاب كبيرًا، ولكن صبره وتضحيته من أجل الحق كانت أكبر وأعظم بكثير.

لقد كانوا يقاومون إيمانه بالعذاب، وكان هو يقاوم العذاب بالصبر والتضحية.

حتى قال خباب: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُرْدَة فى ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له فى الأرض فيُجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمّن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (أخرجه البخارى).

أم سُليم (رضي الله عنها) وصبرها على موت ولدها

ولعلكم تذكرون أم سُليم رضي الله عنها التى تزوجها أبو طلحة رضي الله عنه وكان مهرها الإسلام.

عن أنس ﷺ قال: اشتكى ابن لأبى طلحة قال: فمات وأبوه أبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا، وجعلت ابنها فى جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقةٌ قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبى ﷺ ثم أخبره بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ: «لَعَلَّ الله أن يبارك لكما فى ليلتكما» فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن (متفق عليه).

قصة المرأة التى كانت تصرع على عهد النبى ﷺ

عن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت: إنى أُصرع، وإنى أتكشف فادع الله لى. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر. فقالت: إنى أتكشف فادع الله لى ألا أتكشف، فدعا لها (متفق عليه).

قال الحافظ: وقد أخرج البزار وابن حبان من حديث أبى هريرة شبيهًا بقصتها ولفظه: «جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله. فقال: «إن شئت دعوت الله فشفاك، وإن شئت صبرت ولا حساب عليك؟» قالت: بل

أصبر ولا حساب على.

وفى الحديث فضل من يُصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوى، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء، والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوى وهو قوة توجهه، وقوة قلبه بالتقوى والتوكل، والله أعلم (فتح الباري: ١٠/ ١٢٠).

السلف الصالح ورحلة البلاء

عروة بن الزبير (ﷺ)

وها هو عروة بن الزبير ﷺ الذى يُضرب به المثل فى الصبر على البلاء والرضا بقضاء الله تعالى... ها هو يتعرض لهذا البلاء الشديد الذى سيظل العلماء والخطباء يرددونه من على المنابر وفى مجالس العلم فى كل زمان بل وفى كل مكان.

فعن هشام بن عروة عن أبيه: وقعت الأكلة فى رجله فقيل له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: إن شئتم، فجاء الطبيب فقال: أسقيك شرابًا يزول فيه عقلك. فقال: امضِ لشأنك ما ظننت أن خلقًا يشرب شرابًا ويزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه. قال:

فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حسًا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذتَ لقد أبقيت، ولئن ابتليتَ لقد عافيت، وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة.

وفي رواية أنه قال: اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحدًا وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفًا وأبقيت ثلاثًا، فإن ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد أبقيت.

شيخ الإسلام (ابن تيمية) رحمه الله

وإن كان هذا دأب الأنبياء والصحابة فإن الخير لم ينقطع فى الأمة أبدًا فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية كان عالمًا مجاهدًا فى سبيل الله بلسانه وبقلمه وسيفه داعيًا إلى السُّنَّة ومحاربًا للبدعة لا يخاف فى الله لومة لائم فعندما صدع بالحق حسده كثير من علماء زمانه فوشوا به إلى الخليفة ورموه بالابتداع فسُجن أكثر من مرة وأُوقف عن التدريس، ولكن هذه لم تفتَّ فى عضده أو تبعده عن الدعوة وفى آخر مرة وشوا به إلى الخليفة فسُجن فى سجن القلعة فى سجن انفرادى ومُنع من التأليف وسُحبت منه الأقلام والمحابر فقال رحمه الله: ما يفعل بى أعدائى أنا حديقتى وبستانى فى صدرى أنَّى ذهبت فهى معى فإن قتلونى فقتلى شهادة، وإن شردونى فتشريدى سياحة، وإن سجنونى فسجنى خلوة ــ فسدّ شيخ الإسلام بهذه الكلمات على أعدائه

جميع المنافذ التى يريد أعداؤه أن ينتقموا منه عن طريقها ـ فبعد سحب الأقلام والمحابر بدأ شيخ الإسلام رحمه الله فى تلاوة كتاب الله حتى ختمه بضعًا وثمانين مرة فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٤: ٥٥). توفاه الله عند تلك الآية ثم شرعوا فى غسل الشيخ رحمه الله فما فرغوا منه حتى امتلأت القلعة وضجّ الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحُّم ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموى والخلائق فيه بين يدى الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها ما لا يحصى عدتهم إلا الله سبحانه وتعالى فصرخ صارخ وصاح صائح: هكذا تكون جنائز أئمة السنّة... فصلى عليه خلقٌ كثير لا يحصيهم إلا الله حتى إن الحوانيت أُغلقت فى ذلك اليوم كله دلالة على حب شيخ الإسلام وعلامة من علامات حسن الخاتمة بإذن الله. (البداية والنهاية: ٧/١٤١).

تسلية أهل المصائب

ومن كمال رحمة الله ـ جل وعلا ـ أنه يبتلى العبد بالمصائب ليطهره من الذنوب والآثام وليرفع درجته فى الجنة لينعم بصُحبة خير الأنام ﷺ.

فهيا بنا لنتعرف على تلك الأشياء التى يتسلى بها أهل

المصائب فى مُصابهم[١].

١ - الأجر العظيم على الصبر والاسترجاع:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

(البقرة: ١٥٥: ١٥٧)

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين.. يعنى بالعدلين الصلاةَ والرحمَة، وبالعلاوة الهدى.

وقد تضمنت هذه الكلمة: «إنا لله وإنا إليه راجعون» علاجًا من الله لأهل المصائب. فإنها من أبلغ علاج المصائب وأنفعه للعبد فى عاجله وآجله، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما وتسلى عن مصيبته.

أحد الأصلين: أن يتحقق العبد أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله ـ عز وجل ـ حقيقة، وقد جعله الله عند العبد عارية.

---

(١) لقد اختصرت عناصر تسلية أهل المصائب من كتاب (تسلية أهل المصائب) للإمام محمد المنبجى الحنبلى.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويأتي ربه يوم القيامة فردًا كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة؛ ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات. فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوّله فيه، ونهايته وحاله فيه، فكيف يفرح العبد بولد أو مال، أو غير ذلك من متاع الدنيا؟ أم كيف يأسى على مفقود؟ ففكرة العبد في بدايته ونهايته من أعظم علاج المصائب، ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (الحديد: ٢٢: ٢٣)، ومن تأمل هذه الآية الكريمة وجد فيها شفاءً أدواء المصائب.

وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ (التغابن: ١١)، قال علقمة وجماعة من المفسرين: هي المصائب تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم.

عن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عبدٍ تُصيبهُ مصيبة فيقول: «إنا لله وإنَّا إليه راجعون؛

اللهمَّ أجُرنى فى مُصيبتى، وأَخلفْ لى خيرًا منها إلا آجرهُ الله تعالى فى مُصيبته، وأخلفَ له خيرًا منها».

– قالت: فلمَّا تُوفى أبو سلمة، قلتُ كما أمرنى رسول الله ﷺ، فأخلفَ الله تعالى لى خيرًا منه: رسول الله ﷺ (أخرجه مسلم).

٢ - التأسى بأهل المصائب:

ومن أنفع ما للمصاب أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسى بأهل المصائب.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لكل فرحة ترحة، وما مُلئ بيت فرحًا إلا مُلئ ترحًا».

قالت الخنساء رضي الله عنها، وهى تنعى أخاها (صخرًا) الذى مات فى الجاهلية:

يُذكِّرنى طلوع الشمس صخرًا
وأذكره لكل غروب شمسِ
فلولا كثرةُ الباكين حولى
على إخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكين مثل أخى ولكن
أُعزِّى النفس عنه بالتأسى

وهذا المعنى قد حرمه الله ـ عز وجل ـ أهلَ النار فإن المخلدين فيها يظن كل واحدٍ أنه لم يبق فى النار سواه . . وذلك زيادة فى تعذيبهم وتنكيلهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٩).

٣ ـ أن مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة فى الآخرة :

ومن تسلية أهل المصائب أن ينظر العبد بعين بصيرته، فليعلم أن مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة فى الآخرة يقلبها الله تعالى، وحلاوة الدنيا هى بعينها مرارة فى الآخرة؛ ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير من عكس ذلك، فإن خفى عليك ذلك فانظر إلى قول الصادق المصدوق، وهو قوله ﷺ: «حُفَّتْ الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات» (أخرجه مسلم).

وكذلك قوله فى الصحيح: «يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة؛ ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويُؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة؛ فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يارب ما مرَّ بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط» (أخرجه مسلم).

٤ - أن تتوكل على الله (جل وعلا) :

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله ويتكلوا عليه، ويتعزوا بعزاء الله تعالى، ويمتثلوا أمره فى الاستعانة بالصبر والصلاة.

وفى حديث أنس بن مالك قال: ألا أحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد غيرى؟ كنا عند رسول الله ﷺ جلوسًا فضحك، فقال: «تدرون ممَّ ضحكتُ»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقضِ له قضاء إلا كان خيرًا له» (صحيح الجامع: ٣٩٨٥).

قال بعض الحكماء: إن لله عبادًا يستقبلون المصائب بالبِشر قال: فقال: أولئك الذين صفت من الدنيا قلوبهم.

٥ - أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن فى الدين :

فكل مصيبة فى دنيا الإنسان قد تُعوض بخيرٍ منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوَّض، ولذلك حين خُيِّر يوسف - عليه السلام - بين أن يُصاب فى دنياه فيُسجن ويكون من الصاغرين، وأن يُصاب فى دينه فيصبو إلى النسوة ويكون من الجاهلين.

حين خُيِّرَ يوسف بين الأمرين كان لابد أن يختار مصيبة الدنيا، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف: ٣٣).

وكان ﷺ يُعلم أمته هذا الدعاء: «.... ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا...» (صحيح الجامع: ١٢٦٨).

وبالجملة.. فالمصيبة فى الدين من أعظم مصائب الدنيا والآخرة، وهى نهاية الخسران الذى لا ربح معه، والحرمان الذى لا طمع معه.

وقد حكى ابن أبى الدنيا عن شريح أنه قال: إنى لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره:

إذ لم تكن أعظم مما هى، وإذ رزقنى الصبر عليها، وإذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها فى دينى.

ومن أعظم المصائب فى الدين موت النبى ﷺ؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم؛ لأن بموته ﷺ انقطع الوحى من السماء إلى يوم القيامة، وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد، بارتداد العرب عن الدين، فهو أول انقطاع عُرَى الدين ونقصانه، وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد، وغير ذلك من الأمور التى لا أحصيها.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

قال ﷺ : «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى، فإنها من أعظم المصائب» (صحيح الجامع: ٣٤٧).

ولقد أحسن أبو العتاهية فى نظمه موافقًا لهذا الحديث، حيث يقول:

اصبر لكلِّ مُصيبةٍ وتجلدِ
واعلمْ بأن المرء غيرُ مخلَّدِ
أوَ ما ترى أن المصائب جَمَّة
وترى المنية للعباد بمرصدِ
من لم يُصَبْ ممن ترى بمصيبة
هذا سبيل لست عنه بأوحدِ
فإذا ذكرتَ محمدًا ومصابه
فاجعل مصابك بالنبيِّ محمدِ

٦ - أن تعلم بأن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها:

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها، وهو فى الحقيقة يزيد فى مصيبته، بل يعلم المصاب أن الجزع يشمت عدوه، ويسوءُ صديقه، ويُغضب ربَّه، ويسرُّ شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضى ربه، وسرَّ صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه؛ فهذا هو الثبات فى الأمر

الديني. . . . قال النبي ﷺ : «إنما الصبرُ عند أول الصدمة» (أخرجه مسلم).

وكانت امرأة من العابدات بالبصرة تُصاب بالمصائب فلا تجزع، فذكروا لها ذلك، فقالت: ما أُصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في عيني أصغر من الذباب.

٧ - أن تعلم بأن المصائب تخلِّص العبد من الكِبر والعجب:

وليعلم أهل المصائب أنه لولا محنُ الدنيا ومصائبها، لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه.

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾

(العلق: ٦: ٧)

فمن كمال رحمة الله أن يبتلي العبد ليشعر العبد بأنه عبدٌ وأنه يستمد عزته من التذلل لله ــ جل وعلا ــ ويستمد قوته من اللجوء والتوكل على الله ويستمد أسباب حياته كلها من افتقاره إلى الملك جل جلاله.

٨ - قد يكون الخير كله في تلك المصائب:

قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

وقال تعالى في حديث الإفك: ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (النور: ١١).

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

في هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرَّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرَّة من جانب المضرَّة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

٩ - أن تعلم بأن البلاء قد يرفعك في درجات الجنة:

قال ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليكون له المنزلةُ عند الله فما يبلغُها بعملٍ، فلا يزالُ اللهُ يبتليه بما يكرهُ حتى يبلِّغه إياها» (صحيح الجامع: ١٦٢٥).

فقد يكون عملك الصالح لا يبلغك تلك الدرجة في الجنة... والله - عز وجل - يريد أن يرفعك إلى تلك الدرجة في الجنة فيبتليك ليرفع درجتك في الجنة التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

١٠ - الحبيب ﷺ علَّمنا كلمات الفرج:

قال ﷺ: «ما أصاب عبدًا قط همّ ولا حَزن، فقال: اللهم إنى عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك ماضٍ فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سَميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته فى كتابك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها» (السلسلة الصحيحة: ١٩٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقولُ عندٍ الكَرْب: «لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إلهٍ إلا الله ربِّ العَرشِ العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمِ» (متفق عليه).

وعن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبى ﷺ أنه كان إذا كَرَبَهُ أمرٌ قال: «يا حىّ يا قيُّومُ برحمتكَ أستغيثُ» (صحيح سنن الترمذى: ٢٧٩٦).

وعن أبى بكرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «دعواتُ المكروب: اللهمَّ رحمتكَ أرجُو، فلا تكلنى إلى نفسى طرفةَ عين، وأَصلح لى شأنى كُله، لا إله إلا أنت» (صحيح الجامع: ٣٣٨٨).

١١ - التحصن بالعلم النافع:

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته، من الجزع ما يسوء الناظر إليه والسامع عنه من الاعتراض على الأقدار.

فلا شيء أنفع من العلم؛ لأن العالم لو حصل له هلع شديد في مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدرى كيف يتنفس؛ والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق.

١٢ - أن تعلم بأن الله يعوّضك بصبرك واحتسابك:

ومما يُسلى أهل المصائب: أن المصاب إذا صبر واحتسب، وركن إلى كريم، رجاء أن يخلف الله تعالى عليه، ويعوضه عن مصابه؛ فإن الله تعالى لا يخيبه، بل يعوضه؛ فإنه من كل شيء عوض إلا الله تعالى، فما منه عوض.

١٣ - معرفة فضيلة الصبر من كتاب الله (جل وعلا):

إن التعرف على فضائل الصبر تجعل المصاب يتسلى ويصبر ليظفر بفضائل الصبر وليكون من الصابرين.

وإن الله تعالى علّق الفلاح بالصبر والتقوى فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

وأخبر بمضاعفة أجر الصابرين، فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ

أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (القصص: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

وعلَّق الإمامة فى الدين بالصبر واليقين فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

وجعل الصابرين يفوزون بمعيته (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣).

وعلَّق النصر بالصبر والتقوى، فقال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥).

وأخبر عن محبته للصابرين، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار من نصيب الصابرين، فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (المؤمنون: ١١١).

١٤ - التعرف على فضيلة الصبر من سُنة الحبيب ﷺ:

قال ﷺ: «.. والصبر ضياء» (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «.... ومن يتصبر يُصبّره الله وما أعطى أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر» (متفق عليه).

وعن أبي يحيى صُهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كُلَّهُ له خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له» (أخرجه مسلم).

«يقولُ الله تعالى: ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيَّهُ من أهلِ الدنيا ثم احتسبه إلا الجنةَ» (أخرجه البخاري).

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: إنَّ الله عز وجل قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر عوَّضتُهُ منهما الجنة». يُريدُ: عينيه (أخرجه البخاري).

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» (صحيح الجامع: ٥٨١٥).

١٥ - التعرف على فضيلة الصبر من كلام الصحابة وأفعالهم (رضي الله عنهم) ومَن بعدهم:

لما مرض أبو بكر رضي الله عنه فعادوه فقالوا: «ألا ندعو لك

الطبيب؟ فقال: قد رآني الطبيب. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعَّال لما أُريد».

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: وجدنا خير عيشنا بالصبر، وقال أيضًا: أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له، وقال: الصبر مطية لا تكبو».

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبدٍ كريم عنده.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه.

وروى الحافظ ابن عساكر أنه مات لرجل من السلف ولد، فعزاه سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد وآخرون، وهو في حزن شديد، حتى جاءه الفضيل بن عياض فقال: يا هذا أرأيت لو كنت في سجن وابنك، فأُفرج عن ابنك قبلك، أما كنت تفرح؟ قال: بلى. قال: فإن ابنك خرج من سجن الدنيا قبلك، فسُرِّي عن الرجل وقال: تعزَّيتُ.

١٦ - معرفة أحوال السلف الصالح عند المصائب ومتابعتهم:

ينبغى للمصاب بنفسه أو بولده أو بغيرهما، أن يجعل فى المرض مكان الأنين ذكرَهُ الله تعالى، والاستغفار والتعبد؛ فإن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يكرهون الشكوى إلى الخلق.

وعن أبى محمد الحريرى قال: حضرتُ عند الجنيد قبل وفاته بساعتين، فلم يزل تاليًا وساجدًا، فقلت له: يا أبا القاسم، قد بلغ ما أرى من الجهد، فقال: يا أبا محمد، أحوج ما كنتُ إليه هذه الساعة؛ فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا.

وكان صلة بن أشيم فى مغزى له ومعه ابنه، فقال: أى بنى تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم فقتل، فاجتمع النساء عند أمه معاذة العدوية، فقالت: مرحبًا، إن كنتن جئتن تهنئننى، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

وقال شقيق البلخى: من شكا مصيبة به إلى غير الله، لم يجد فى قلبه لطاعة الله حلاوة أبدًا.

وقال بعض الحكماء: كنوز البر كتمان المصائب.

١٧ - أن الله يغفر الذنوب ويمحص القلوب بتلك الابتلاءات:

قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حَزن ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يُشاكها

إلا كفر الله بها من خطاياه» (أخرجه البخارى).

وقال ﷺ : «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة» (صحيح الجامع: ٣٠٨).

١٨ - أن تعلم بأنك مسافرٌ... والسفر كله مشقة:

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الناس منذ خُلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حطٌّ عن رحالهم إلا فى الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبنيٌّ على المشقة وركوب الأخطار. ومن المحال عادة أن يُطلبَ فيه نعيمٌ ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن كل وطاة قدم أو كل آن من آنات السفر غيرُ واقفة، ولا المكلفُ واقف، وَقد ثَبتَ أنه مسافر على الحال التى يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير (الفوائد، ص: ٢٧٠).

١٩ - أن تعلم بأن تشديد البلاء يخص الأخيار:

قال ﷺ : «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقةٌ ابتُلى على قدر دينه فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة» (صحيح الجامع: ٩٩٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُصبْ منه» (أخرجه البخارى).

٢٠ ـ معرفة حقيقة الدنيا:

المؤمن يعلم أن الدنيا فانية، ومتاعها قليل، وما فيها من لذة فهى مكدَّرة ولا تصفو لأحد. إن أضحكت قليلاً أبكت طويلاً، وإن أعطت يسيرًا منعت كثيرًا، والمؤمن فيها محبوس، كما قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (أخرجه مسلم).

إن هذا المعنى الذى يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا يهون عليه كثيرًا من وقع المصاب وألم الغم، ونكد الهم؛ لأنه يعلم أنه أمر لابد منه فهو من طبيعة هذه الحياة.

٢١ ـ أنك ربما تتعرض لرحمة من رحمات الله بكثرة الدعاء:

ومما يتسلى به المصاب: تعرُّضه إلى مَنْ القلوب بين أصبعيه وأزمَّة الأمور بيديه وانتهاء كل شىء إليه على الدوام، فلعله أن يصادف أوقات النفحات، كما فى الأثر المعروف: إن لله فى أيام دهره نفحات فتعرضوا لنفحاته، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمِّن روعاتكم، ولعله فى كثرة تعرضه أن يصادف ساعة من الساعات التى لا يُسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه. فمن أعطى منشور الدعاء أعطى الإجابة، فإنه لو لم يرد إجابته لما ألهمه الدعاء كما قيل:

لو لم تُرِدْ نيلَ ما أرجو وأطلبُهُ
من جُودِ كفكَ ما عودتنى الطلبا

٢٢ ـ أن تعلم الغاية التى خلقك الله من أجلها:

ومما يتسلى به المصاب أن يعلم أن الله سبحانه خلقه لبقاء لا فناء له، ولعزٍّ لا ذل معه وأمن لا خوف فيه، وغناء لا فَقر معه، ولذة لا ألم معها، وكمال لا نقص فيه، وامتحنه فى هذه الدار بالبقاء الذى يسرع إليه الفناء، والعز الذى يقارنه الذل ويعقبه الذل، والأمن الذى معه الخوف وبعده الخوف. وكذلك الغناء واللذة والفرح والسرور والنعيم الذى هنا مشوب بضده؛ لأنه يتعقبه ضده وهو سريع الزوال، فغلط أكثر الخلق فى هذا المقام إذ طلبوا النعيم والبقاء والعز والملك والجاه فى غير محله ففاتهم فى محله، وأكثرهم لم يظفر بما طلبه من ذلك، والذى ظفر به إنما هو متاع قليل والزوال قريب فإنه سريع الزوال عنه، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءوا بالدعوة إلى النعيم المقيم والملك الكبير، فمن أجابهم حصل له ألذ ما فى الدنيا وأطيبه، فكان عيشه فيها أطيب من عيش الملوك فمن دونهم (عدة الصابرين، ص: ٩٥).

٢٣ ـ أن تعلم قدر النعمة بمشهد البلاء والعافية:

إن مشهد البلاء والعافية يجعل العبد يعرف قدر النعمة؛ فإن البلاء فى الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها. . . والعافية المطلقة هى الطاعات وعواقبها، فأهل البلاء هم أهل المعصية عوفيت

أبدانهم، وأهل العافية هم أهل الطاعة وإن مرضت أبدانهم.

٢٤ ـ الفوز بمحبة الله (جل وعلا) ومعيته:

وإذا كان الصبر على تلك المصائب والابتلاءات تجلب للعبد أعظم نعمة ألا وهى: معية الله... فأهلاً ومرحبًا بالبلاء، فوالله إن إحساس العبد بمعية الله (جل وعلا) تجعله ينسى الألم والمشقة والعذاب، بل تجعله يستعذب العذاب فى سبيل الله.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: ١٥٣).

وقال تعالى: ﴿**والله يحب الصابرين**﴾ (آل عمران: ١٤٦).

٢٥ ـ أن تعلم بأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر:

ينبغى للعبد أن لا ينكر فى هذه الدنيا وقوع هذه المصائب، فكلُّ ما يظن فى الدنيا أنه شراب فهو سراب، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب، وجمعها فهو للذهاب.

قال أبو الفرج بن الجوزى: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تُعْتَوَرْ فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعانى المحَن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى بن مريم لا مأوى له، إلا البرارى فى العيش الضنك، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقُتِل عمه حمزة، وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور

قومه عنه. . . وقد قال النبى ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر» (أخرجه مسلم).

٢٦ ـ أن تتذكر نِعم الله التى لا تُعد ولا تُحصى:

وإن مما يتسلى به المصاب فى مصيبته أن يتذكر نِعم الله عليه التى لا تُعد ولا تُحصى. . . وكفى بالإسلام نعمة.

مرَّ رجلٌ على واحدٍ من السلف الصالح وقد قُطعت يداه ورجلاه، ومع ذلك يبتسم ويقول: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرًا من الناس. فتعجب الرجل وقال له: وأى شىء عافاك الله منه؟!! فقال الرجل الصالح: عافانى من الشرك وأنعَم علىَّ بنعمة التوحيد والإيمان. . ألا تستحق تلك النعمة أن أسجد لله شُكرًا؟!.

قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (النحل: ١٨).

وقال تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ (يونس: ٥٨).

بل إن أيوب (عليه السلام) لما مكث فى بلواه ثمانى عشرة سنة فقالت له امرأته: يا أيوب. . لو دعوت ربك لفرَّج عنك. فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحًا فهل قليلٌ لله أن أصبر له سبعين سنة؟

فيا لها من كلمات نهديها لكل مسلمٍ مبتَلى لتربط على قلبه ولتكون بلسمًا لآلامه وجراحه.

ولعلنا نذكر قول عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ عندما قُطعت رجله ومات ابنه فقال: اللهم لك الحمد، إن كنت قد ابتليت فكم عافيت، وإن كنت قد أخذت فكم أعطيت.... فالذى دفعه إلى الحمد بعد الرضا بقضاء الله أنه لم ينسَ نِعم الله عليه.

٢٧ ـ أن تعلم أنك مملوك، وليس للمملوك فى نفسه شىء:

ومما يتسلى به المصاب فى مصيبته أن يعلم أنه مملوك وليس للمملوك فى نفسه شىء... فإذا أنعم الله عليه بنعمة فعليه أن يتوجه إليه بالشكر وكثرة الطاعات، وإذا ابتلاه الله ببلاء فما عليه إلا أن يصبر ويرضى ويرجو من الله أن يكافئه على صبره ورضاه.

٢٨ ـ أن ترضى بما رضيه لك الخالق (جل وعلا):

لابد أن تعلم أيها الأخ الحبيب أن الله لا يختار لعبده إلا أفضل الأشياء، وأن الله هو الذى يعلم ما يُصلح العبد وما يُفسده.. أما العبد فنظرته قاصرة؛ لأنه لا يعلم عواقب الأمور.

فإذا علمت هذا فما عليك إلا أن ترضى بما رضيه لك الخالق (جل وعلا) وأن تحمده فى كل الأحوال فهو أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع.

٢٩ ـ أن تعلم أن الله لا يبتليك ليعذبك وإنما ليطهرك ويقربك:

ومما يتسلى به المصاب: أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هى من عند الله، وأنها بقضائه وقدره، وأنه سبحانه وتعالى لم يقدرها عليه ليهلكه بها ولا ليعذبه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه.

قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٧).

٣٠ ـ أن تعلم أن المصيبة ثابتة.. فلا تعترض على أمر الله:

فالعاقل هو الذى يعلم أن المصيبة إذا وقعت فلا فائدة من الاعتراض على أمر الله (جل وعلا)... فعليه حينئذ أن يرضى ويسلم ليفوز بالأجر والثواب بدلاً من أن يتسخط على أمر الله فيبوء بالذنب والبلاء فى آن واحد.

٣١ ـ أن الله قد يحيى قلبك بهذا البلاء:

وهذا أمرٌ نشاهده كثيرًا... فقد يكون العبد بعيدًا عن طاعة الله ـ جل وعلا ـ فإذا سلَّط الله عليه البلاء عاد العبد إلى ربه وقام لينفض غبار الغفلة ويرفع يديه بالدعاء والإنابة والتوبة.. وإذا به يصبح عابدًا صائمًا قائمًا، بل وقد يصبح داعية إلى الله (جل وعلا).

وقد يحيى الله قلب عبد بموت عبد آخر، كما حدث فى قصة الرجل الذى كان يشربُ الخمر ويفعلُ الفواحش فلما ماتت

ابنته كان موتها سببًا لتوبته وعودته إلى الله تعالى.

٣٢ ـ أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك:

ومن الأشياء التى يتسلى بها المصاب أن يرضى بقضاء الله لأن الإيمان بالقضاء والقدر يُهوِّن على المؤمنين البلاء، وذلك لأنهم يعلمون أن ما ينزل بهم من مصائب وفق قدرٍ معلوم وقضاءٍ مرسوم وحكمة أزلية، وأن الله تعالى يُقدِّر ويلطف ويبتلي ويخفف.

ومن هنا يوقن العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (التغابن: ١١).

وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ (الحديد: ٢٢).

وقال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف» (صحيح الجامع: ٧٩٥٧).

وقال ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «لو أنَّ الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غيرُ ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقتَ مثل أُحد ذهبًا فى سبيل الله ما قبله اللهُ منك حتى تُؤمن بالقدر، فتعلمَ أنَّ ما أصابك لم يكُنْ ليُخطئكَ، وما أخطأكَ لم يكن ليُصيبك، ولو مُتَّ على غيرِ هذا لدخلت النار» (صحيح الجامع: ٥٢٤٤).

٣٣ - أن تتذكر ما فى البلاء من اللطائف والفوائد:

ومن بين تلك الفوائد التى يجنيها العبد من البلاء: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب منها إلى الله عز وجل.

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له.

* ومنها زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله عز وجل، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

* ومنها أنها توجب من العبد الرجوع إلى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء... وفى بعض الآثار: إن الله ليبتلى العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه، وكان بعض السلف إذا فُتح له فى الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن يقطع عما فتح له.

* ومنها أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفاف إلى المخلوق،

ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمن... فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه، وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات.

* ومنها: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم، فإن العبد إذا أحس بألم الابتلاء رق قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

* ومنها: معرفة قدر نعمة العافية، فإن النعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض[1].

٣٤ - أن تعلم أن بعد العسر يُسرًا:

ومما يتسلى به المصاب أن يُحسن الظن بالله (جل وعلا) ويعلم أن الله سيجعل له فرجًا ومخرجًا، فقد قال تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ (الشرح: ٥، ٦).

وقال ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا» (السلسلة الصحيحة: ٢٣٨٢).

---

(١) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما وفوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام - نقلاً من تسلية المصائب لأحمد فريد (٢: ٤١).

٣٥ ـ التطلع إلى نعيم الجنة :

ومن تسلية أهل المصائب: أن ينظر المصاب ويفرق بين أعظم اللذتين والتمتعين: تمتع الحياة الدنيا الفانية، وتمتع الدار الآخرة الباقية... قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (النساء: ٧٧)، وأى شىء حصل له من القليل؟

وقال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثلُ ما يجعلُ أحدكم أصبعهُ فى اليمِّ فلينظر بم يرجعُ؟» (أخرجه مسلم).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادىَ الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧) (متفق عليه).

* * *

كلمة أخيرة

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

كانت هذه الرسالة القصيرة بمثابة دمعة نُطفئ بها
التى نعيشها فى هذا الزمان ولنتصبر بها جميعًا إلى أن
لنا بالرحيل من هذه الدنيا المليئة بالآلام والأحزان إ
صُحبة الحبيب ﷺ وأصحابه ﷺ فى جنات النعيم
ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب

هناك فى تلك الجنة يجبر الله كَسرنا ويداوى -
ويعوضنا بكل أنواع اللذة والنعيم. . . نعم والله فهو
وسعت رحمته كل شىء.

فإلى كل مسلم ومسلمة. . . إلى كل من ابتلاه الل
من موت الأحبابِ وفقد الأموال والأولاد. . . إلى ك
ومريضٍ وفقير ومُصاب. إلى كل من نفعه الله بتلك
فتصبَّر ورضى بقضاء اللّه.

إلى كل هؤلاء أقول: إننى أرجو من الله تعالى أ
فى جنته إخوانًا على سُرر متقابلين فأرجو ألا ينس
منكم من دعائه بأن يغفر اللّه لى ويرحمنى وأن يتقبل
وأن يحشرنى فى زُمرة المتقين.

وسوف يأتيك الجواب من الملَك الموكَّل بدعاء المـ
المسلم بظهر الغيب، وسيقول لك: آمين ولك بمثل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسـ

وكتبه الفقير إلى عفو الر

الفهرس